

للفكر والعين اللذين الفا ذلك الشكل أن يدركاها . ولكن الأصالة حين تغدو هي المزية الوحيدة ، أو المزية الأكثر إطرأء في الشعر ، يمكن أن تكف عن أن تكون مزية على الاطلاق، وحين يكف عدد من الشعراء ومجموعة المعجبين الخاصة بهم عن أن يشتركوا في أية مقاييس للصياغة الشعرية، وفي أي تطابق في الذوق أو في الآراء والمعتقدات فإن النقد يمكن أن يتردى الى إعلان عن التفضيل . فالأصالة التي يقرها جونسون إنما هي أصالة محدّدة بالمزايا الأخرى التي يطالب بها .

وكان جونسون يعلّق أهمية على التهذيب . وقد أصبح هذا المصطلح موضوع السخرية ، على الرغم من أن مايعنيه المصطلح يمكن أن يكون شيئاً لانستطيع ان نهرب منه أبداً . أما أن الشعر ينبغي له أن يعلم الحكمة أو يغرس الفضيلة فذلك أمر يبدو لأكثر الناس قيمة ثانوية تماماً ، بل عرضية ، بل إنه يبدو لبعض الناس متضارباً مع المهمة الحقيقية للشعر . غير أنه لا بد لنا أول الأمر أن نلاحظ أن جونسون لايميل قط ،حين يكون حسّه النقدي يقطاً ، الى أن يقدر قصيدة فوق قدرها على أساس مجرد تعليمها أخلاقاً بحجة ، فقد كان يرى أن القصيدة ينبغي ان تكون ممتعة ، وأنها ينبغي أن تمنح متعة مباشرة ، وأنا أعتقد بالفعل أنه يبالح في تقرير هذا المطلب، حين يقول في كتابه (حياة كاولي) :

«كل من يدعي أنه ينفع عن طريق الإمتاع فلا بد له أن يتمتع على الفور. فمسررات الفكر تتضمن شيئاً مبالغتاً وغير متوقع ، ولا بد لذلك الذي يهذب أن يدهش أيضاً . وما يتم ادراكه بالتدرّج البطيء يمكن أن يرضينا بالوعي بالتحسّن، غير أنه لن يجتذبنا أبداً بحسّ المتعة» .

وأنا أقرُّ أن القصيدة التي لا تحدث انطباعاً مباشراً ، والتي لانستحوذ على انتباهنا بطريقة من الطرق، ليس من المحتمل أن تثير هزة فيما بعد . غير أن جونسون لا يبدو لي أنه يفسح المجال لإمكانية أي تطوير أو توسيع للمتعة ، والوعي التدرّجيّ لألوان جديدة من الجمال، ذلك الوعي الذي ينجم عن المعرفة الأفضل، كلاً ، ولا يفسح المجال لنضج القارىء ، وتطور حساسيته عن طريق المعاناة الأعمق، والمعرفة الأكثر اتساعاً. وعلى كل حال فأنا لم أورد جملته من أجل